١ من أسقط النظام؟

مرحلة عصيبة تلك التي شهدتها مصر منذ أحداث يناير وتخلي الرئيس عن الحكم .. سيجالات فكرية عديدة – فعالة أحيانًا وعقيمة في أحايين كثيرة – سيجالات لم تسفر إلا عن عديد من الائتلافات والحركات السياسية المتصارعة في الوصول للحكم، يصحبها مزيد من الشقاق والانفلات وحالات التدهور القيمي والإنتاجي .. سيجالات فكرية بعيدة تمامًا عن مستقبل مصر الحقيقي وعن مصلحة الأمن القومي لها.. سيجالات حول ثورة تعددت فيها قياداتها ورموزها السياسية .. لدرجة أنه أصبح مع هذا التعدد من الصعوبة التكهن بمن سيحكم مصر .. والسبب في ذلك أن كلًا من الحركات السياسية والتنظيمات والائتلافات يرى أنه كان له الدور الأعظم في إسقاط النظام .. وأنه الأحق في حكم مصر.. فضلًا عن الأطياف المختلفة الفكر والعقيدة من الشباب المنتمية لبعضٍ من هذه التنظيمات والمتكتلة في كيانات مستقلة وبشكل غير رسمي، ترى أنها الفاعل الأول والمهم في إسقاط النظام .. وأن هذا التعدد في الفكر والعقيدة بالإضافة إلى تنوع الطموح السياسي واختلافه من طبقة اجتماعية لأخرى ومن مرحلة عمرية لأخرى أيضًا يجعل من الصعوبة بمكان الاتفاق حول أهدافًا واضحة للثورة، وكذلك على الصفات التي يجب أن يتمتع بها الرئيس المنتظر.. وما طبيعة التشكيلات الاجتماعية والسياسية التي سوف يأتي منها.. وهل لدينا استعدادًا

واضحًا للالتفاف حول شخصية مصرية واحدة، نمنحها الثقة الكاملة في إدارة شئون البلاد.. أم أن الفترة الانتقالية سوف تمتد إلى أن تنحني هامة الثورة بانحناء موارد البلاد ونقص الإنتاج فيها .. ولن يدفع الثمن سوى فقراء هذا البلد والأبرياء فيه .. كل هذا الشقاق وكل هذه الاختلافات دفعتني لأن أناقش وبعمق الإجابة على سؤال: من الذي أسقط النظام؟ حيث أن التكهن بشخصية ومرجعية الرئيس القادم مرهون بالاتفاق حول مرجعيات وخلفيات المتسببون في إسقاط النظام ومدى الإجماع الشعبي عليهم .. فإذا كان الشباب يرون في أنفسهم الفاعلين الحقيقيين للثورة والذين غامروا بمستقبلهم وضحوا بأرواحهم من أجل إسقاط النظام؛ وبناء عليه فهم أصحاب الحق الأول في تقرير مصير مصر ورسم مستقبلها.. وهذا ما اتضح جليًا في الحوار الذي أجراه وائل غنيم في برنامج العاشرة مساء عندما قال: «آن الأوان لأن نتخلى عن مقولة أنا أبوك وبفهم أكتر منك» فقد نجح الشباب في تحقيق ما عجز عن تحقيقه الآباء قرابة الثلاثين عامًا، وكانت هذه المقولة بمثابة دعوة للثورة على أفكار الكبار والعبث بخبراتهم في إدارة شئون البلاد.. ويا ليتهم اتفقوا جميعًا كشباب على رؤية واحدة لمستقبل مصر.. بل تشيعوا لأكثر من ١٣٢ ائتلاف لثورة ٢٥ يناير لم يتفقوا سوى على القليل من الأهداف واختلفوا حول الأكثر.. فإن أصحاب الفكر والحركات والأحزاب السياسية المعارضة والإسلاميين بشتى طوائفهم والمثقفين يروا أنهم الأحق في رسم مستقبل مصر وقيادته.. فهم الذين جابهوا النظام سنوات طويلة، وعاشوا في ظله سنوات عِجاف، عملوا فيها على كشف مفاسده وفضح عيوبه، وتحملوا في سبيل ذلك مغارم كثيرة من سجن واعتقال ودمار لمصالحهم الاقتصادية واستبعاد من الحياة السياسية برمتها .. وكانت هذه المجهودات هي النواة الحقيقية التي حفَّزت على الثورة ودفعت إليها .. ولولا هذه المعلومات لما استطاع هؤلاء الشباب بإمكاناتهم المتواضعة من إماطة اللثام عن

نظام مبارك.. وبالرغم من منطقية مبرراتهم، إلا أنني أرى أنهم فشلوا جميعًا في الاتفاق حول تحديد أهداف الثورة وقيادة مصر في مرحلة ما بعد التنحي .. كما أنهم فشلوا في الاتفاق حول شخصية واحدة وترشيحها لحكم مصر .. فكل طائفة ترى أنها الأولى والأحق بقيادة مصر.. ورفضوا جميعًا شباب وحركات سياسية - التسليم بفكرة المؤامرة الخارجية لإسقاط النظام والإطاحة بالرئيس المصري.. ذلك الطرح الذي طرحه نخبة من المثقفين والعسكريين وكشفت عنه بعض التقارير السرية لأمن الدولة والتي استعرضها عادل حمودة في برنامجه التليفزيوني والتي أشارت إلى أن ما حدث في مصر في ٢٥ يناير هو أمر مدبر من قبل ثلاثة دول هي أمريكا وإسرائيل وإيران .. وأن أمريكا خصصت أكثر من ٤٠ ألف دولار لتغذية حالة الانفلات في مصر وهو ما ذكره د. يحيى الجمل للإعلامي طوني خليفة في برنامج «الشعب يريد» وأن هذا الانفلات يعد تصديقًا لما تنبأت به كوندليزا رايس عندما تحدثت عن الفوضى الخلاقة .. وما ذكرته أنا في كتابي - التنمية والجريمة المعولمة - تحت عنوان سياسات الإفقار والهدم الخلاق .. من أن هناك مؤامرة لإفقار الشعوب العربية - ومن بينها مصر طبعًا - وذلك من خلال هدم النظم السياسية الحاكمة وشيوع حالة الفوضى في البلاد .. وكانت الهيئات الأجنبية المانحة هي الذراع الفاعل في تحقيق هذا الهدف .. وجاري اليوم التحقيق في مِنح المعونة الأمريكية للجمعيات الأهلية والتي خصصت للدفاع عن حقوق الإنسان في مصر .. وكذلك التدريبات التي نظمها المعهد الجمهوري الدولي للشباب في أكثر من دولة لتنمية قدراتهم على تعبئة الجماهير وحشدها حول قضية بعينها ... وبرغم اقتناعي بكل ما سبق كفاعلين حقيقيين في إسقاط النظام إلا أننا لا نستطيع أن نغفل حجم الفساد الذي انتهى إليه حكم مبارك والذي خلَّف ورائه آلاف الحانقين على حكمه، والذين أعتبرهم أساسًا هم الفاعلين الحقيقيين في إسقاط النظام .. ولكني أطالب بسرعة تجاوز الإجابة على هذا

السؤال «من الذي أسقط النظام؟» لأن الخلاف والانشقاق يظل قائمًا، ما زالت الإجابة على هذا السؤال باقية .. ولن نتجاوز هذا السؤال إلا بتوحيد الصف المصري، وإنهاء الخلافات الفكرية والاتفاق على أن الذي أسقط النظام هو مفاسده .. دون أن نتجاهل فكرة المؤامرة وأن هناك شعوب تتربص بمصر .. وتسعى جاهدة لتفتيت وحدتها، وبث روح الشقاق والفتن الفكرية والطائفية فيها .. وأن إغفال هذه الفكرة يعد في وجهة نظري خيانة كبرى للوطن.. وأنا لا أطالب بالتسليم بها ولكن أنادي بتصديقها ولو بنسبة وأن تُؤخذ في الاعتبار؛ حماية للأمن القومي المصري .. ويجب على كل الأطياف الثائرة أن تتقبل وجهة النظر الأخرى، حتى لا نتحرر من ديكتاتورية النظام إلى الوقوع في ديكتاتورية الثوار .. الذين يعتبرون أن التسليم بفكر المؤامرة الخارجية هو تشكيك في نزاهة الثورة ونظافتها من الأيدي الأجنبية، وكذلك إهدارًا لدماء الشهداء الذين ضحوا بحياتهم من أجل إسقاط النظام .. وعلى كل الائتلافات المتعددة والمتنوعة فكريًا اختيار ممثلين لها، حتى يسهل الاتفاق، من خلال تحديد الأهداف العامة للثورة وإعلانها دستوريًا .. وتحديد الصفات الواجب توافرها في الرئيس المرتقب.. حتى نتمكن من التقليل من حالة الانفلات الأمني والضياع الاقتصادي الذي تمر به مصر، ونتجاوز المرحلة الانتقالية بأقصى السرعة الممكنة.. ولكي نتمكن من توحيد وتقوية الجبهة الداخلية وتحقيق الاستقرار فيها، حتى نتفرغ جميعًا لحماية وتقوية جبهتنا الداخلية .. التي استغل الصهاينة حالة عدم الاستقرار الداخلي وراحوا يهاجمون الحدود المصرية ويهدرون الدماء المصرية الطاهرة على رمال سيناء .. فإن لم تتوحد الصفوف والأفكار وإن لم يتم إعلاء مصلحة مصر فوق المصالح الطائفية والحزبية .. فلكِ الله يا مصر وللأبرياء خالص العزاء.

□ □ □ □